

إنعكاسات الرفض في الشعر العربي المعاصر (الأعمال الشعرية لمظفر النواب نموذجاً)

مرتضى زارع

برمى*

الدكتوراه في تخصص اللغة العربية
وآدابها، جامعة خوارزمي
E-mail:
tmu.zare@yahoo.com
الكاتب المسؤول

حامد صدقي

أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها
بجامعة خوارزمي

صغرى فلاحتي

الأستاذة المشاركة في قسم اللغة
العربية وآدابها بجامعة خوارزمي

محمد صالح

شريف عسكري

الأستاذ مشارك في قسم اللغة
العربية وآدابها بجامعة خوارزمي

تاريخ الولوج: ١٤٣٧/٠١/٢٨ تاريخ القبول: ١٤٣٧/٠٣/٢٥

الملخص

الشاعر "مظفر النواب" هو الإنسان الذي يؤمن بأن له رسالة، ويعرف كيف يؤدي هذه الرسالة كاملة لخدمة قضايا أمته. فمن هذا المنطلق، فإن هذه الدراسة محاولة لإلقاء الضوء على شعر الرفض في الأدب العربي المعاصر من خلال شعر الشاعر العراقي المعاصر "مظفر النواب"، على اعتبار أنه من أهم المتمردين السياسيين، وسندرس تلك القصائد التي نبتت في ظلال الرقابة، والناجية من مقص الرقيب، والمنع، والقمع، والحصار، والتقييد، والتعذيب، تلك القصائد المهزبة من وراء القضبان، ومن المصادر المختلفة.

أما المنهج المتبع في هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يعني بمكونات النص الموضوعية، على اعتبار أن النص مثير، وهادف، كما اعتمد المنهج الإستقرائي التحليلي في شرح النصوص الشعرية. ويستخلص البحث إلى أنّ الرفض في شعر النواب هو فكرة لحياته المأساوية التي عاناها من جراء ثورته ضد الحكم وتضحياته لإنقاذ شعبه؛ ومن جهة أخرى يكون الرفض صورة تدل على طموحات الثوري في العراق خاصة و في البلاد العربية عامة، حيث إن استخدام الشخصيات الرمزية التراثية والمعاصرة، تدل على الأنظمة الإستبدادية وعلي ثورة الشعب وعلي انتصارهم في غد ليس ببعيد.

الكلمات الرئيسية: الأدب السياسي، شعر التمرد، الرفض، الشعر العراقي الحديث، مظفر النواب.

١. المقدمة

عرف العالم العربي منذ مطلع القرن العشرين حركة دؤوبة وغلينا جماهيريا شاملا كانت بدايته مع نهاية الحرب العالمية الأولى، ذلك أن جل الأقطار العربية كانت إلى النصف الأول من القرن العشرين تحت وطأة الاستبداد الذي كان أول الأمر عثمانيا، وما كادت تتخلص منه حتي وجدت نفسها مرة أخرى في يد أنظمة استبدادية عسكرية أشد منه وأكبر ويأتي في مقدمتها جميعا، النظام الإمامي في اليمن الذي استغل سلطان الدين في قمع الشعب، والنظام الناصري في مصر-

والحكومات العراقية المتعاقبة المتتالية من الملكي والعسكري والجمهوري، وهي في الحقيقة تمثل الاستعمار الغربي في صورته المختلفة بين الحماية في بعضها والانتداب في بعضها الآخر والحكم المباشر المستبد في آخر. (قدور، ٢٠٠٦ م: ١٠٧؛ الخليل، ١٣٧٠ ش: ٥-١٥) ولذلك تنتمي النصوص الشعرية، موضوع دراستنا، إلى مرحلة حساسة، مرحلة ثورة واضطراب، حيث يُعدّ اقترافها في المجتمع العربي من الكبائر أو من المهلكات ويصنفها فقهاء السلاطين ضمن المحرمات، أو المحظورات في أحسن أحوالها؛ هي الثورة العارمة علي العادات الرائدة، والتقاليد الوافدة، والجهل والغش والخداع والفوضى، ومخلفات عصور الاستبداد والظلم والانحطاط. (القوصي، ٢٠١١ م: ١٣ و٥٣)

وهنا أعلنت النصوص الشعرية عن التزامها الصريح بالواقع وقضايا الشعب، (المسمري، ١٩٨٨ م: ١٥) وهي دائماً في خط النار، بل خط القتال الأول والشهادة من جبهة التمرد السياسي، (شكري، ١٩٧٩ م: ٣٥١) وواجهت الإستعمار والأنظمة الديكتاتورية القمعية والفاشية والدموية وواجهت الذين أفسدوا في البلاد. (القوصي، ٢٠١١ م: ١٧-١٨)

هنا لعب الشعراء دور القائد في أوساط الشباب الثائرين، في الجامعات والمدارس والأحزاب، و في مسيرة التظاهرات الشعبية، وبذلك تولدت الوظيفة الاجتماعية لشعرهم السياسي من صميم المعركة المادية التي وجدوا أنفسهم مرغمين علي المشاركة فيها استجابة لنداءات داخلية عميقة، لأن الفن ولا يزال عدواً مستديماً لكل مظاهر الفساد والظلم والشر- والفوضى جميعاً، (الحمد، ١٩٩٣ م: ١٢؛ مجموعة مؤلفين، ١٩٨٣ م: ١٤٣-١٤٥) ولأجل هذا العداة تحملوا الاضطهاد والقمع والسجن والنفي والإقامة الجبرية، كما قدم بعضهم قرباناً للأوطان. (نعمتي قزويني، ١٣٨٩ م: ٢٨٢)

ومن هنا نحن نبحت عن الشاعر الجندي العراقي، مظفر النواب (١٩٣٤-٢٠١١) في دراستنا، لأن شعره السياسي أشبه بمعارك شخصية، أو تصفية حسابات بين الشاعر والديكتاتوريات، حيث تمتزج المفردة من شعره بدمه، وتعيش قصيدته من عذاباته وبطولاته حرفاً حرفاً، ومن هنا كنا وما زلنا نتلمس أدب المعركة في بيت بيت من شعره يهرب إلينا مضرّجاً بالدم عبر مئات من الأسلاك الشائكة والعيون المترصدة ككلاب الصيد، فندرسه ونعلمه للمتعلمين، لأنه أدب مسؤولية، (مرؤة، ١٩٨٦ م: ٣٧٢ والإمارة، ٢٠١١ م: ٨) ولأنه شاعر الثورة والتمرد والتحريض، شاعر القصيدة العربية الممنوعة، إنه الطائر الذي ما زال يطير ويطير في هذا العالم العربي الممتد من البحر إلي البحر، لا يري غير سجون متلاصقة ولا يجد وطناً يعود إليه. (ياسين، ٢٠٠٣ م: ٩)

وأما الدراسة هذه، فاعتمدت علي مصادر ومراجع شتى، وتحتمل الأعمال الشعرية للشاعر مظفر النواب مكاناً متميزاً بينها. من الجدير بالذكر، إنّه ورغم وجود أكثر من كتاب في الأسواق يحمل عنوان "الأعمال الشعرية الكاملة لمظفر النواب"، إلا أن هذه الكتب لم تكن من إصداره أو بموافقة، بل هي جهود لدور نشر- عربية، قامت بجمع قصائد النواب من الصحف ومواقع الانترنت وغيرها، لذلك كانت قصائده ودواوينه تُحظر في الكثير من الدول العربية علي مدي عشرات السنوات السابقة، ومما لا شك فيه إن مظفر النواب الشاعر ظلّم كثيراً، وقد ظلم نفسه بيده أحياناً، فيما يتعلق بتأخره الطويل في نشر أعماله الشعرية كاملة، فهو ليس من هواة نشر الدواوين. (النواب، ٢٠١٠ م: ٣٣)

ويستمد البحث أهميته من اعتبارات أهمها: (١) إن الدول العربية منذ تأسيسها شهدت تفاعل عدة متغيرات أساسية، منها ما ارتبط بالبيئة الداخلية وعواملها، ومنها ما ارتبط بالبيئة الخارجية والدولية ومنها الدول التوسعية الكبرى، وما ترتب على ذلك من أنماط تأثيرات انعكست تداعياتها على طبيعة الأدب وأنواعه ومنه الشعر السياسي؛ و(٢) من خلال التحول

الديمقراطي في العديد من الدول العربية، في السنوات الأخيرة وانهيار الكثير من الأنظمة الديكتاتورية المختلفة عند مواجهتها تحدي الشعوب، فقد أثبتت أنها غير منيعة في هذه المواجهة بالرغم مما كانت توحى به، بل كشف عنها أمام المجتمع الدولي أنها انظمة قمعية؛ لذا حاولنا في هذه الدراسة تشخيص أنماط الرفض والثورة في الأدب العربي المعاصر من خلال الأعمال الشعرية لمظفر النواب، فضلا عن ذلك فإن أغلب الدراسات التي تناولت النواب لم تتطرق إلي انعكاسات الرفض وترساته في شعره جزئيا ودقيقا.

٢. الدراسات السابقة

إن فضاء البحث في موضوع شاعرنا النواب، ما زال محتفظاً بعذريته، ولكن توجد عدة دراسات حول الأدب السياسي وتجربة السجن واختصاصها بمراحل زمنية محددة، وهناك دراستان حاولتا الجمع بين القديم والحديث هما: (١) أدباء السجون لعبد العزيز الحلفي، قدم فيه مادة تاريخية عن شعراء وكتاب مرّوا بتجربة السجن لا تكاد تتجاوز العرض المختصر لحياتهم ولبعض المقاطع من نتاجهم الأدبي ولم يتجاوز الحديث فيه نتاج مطلع القرن العشرين وما بعد العشرين؛ (٢) حبسيه سرايي در ادب عربي از آغاز تا عصر حاضر، مرضيه آباد، منشورات جامعة فردوسي، مشهد، ١٣٨٠ ش، ولعلها الدراسة الوافية الوحيدة التي ألمت بموضوع شعر السجون في الأدب العربي القديم والحاضر.

وكذلك هناك دراسات حاولت تحليل شعر مظفر النواب: (١) "مظفر النواب حياته وشعره" للكاتب باقر ياسين، ٢٠٠٣ م، الكتاب في ستة فصول: خصص الفصل الرابع منه للتحديث عن أبطال مظفر النواب، من هم، وما هي صفاتهم ودوافعهم الفكرية والاجتماعية؛ (٢) "الأدب السياسي عند مظفر النواب"، إعداد الطالب: ناصر تابع جابري، نوقشت عام ١٣٩١ ش، بجامعة جمران أهواز، وقد تطرقت هذه الدراسة إلي مظاهر المقاومة في شعر النواب منها، الوطن والوطنية، الطائفية، الشعب، الدول العربية، فلسطين و"إسرائيل"، وكذلك أشارت إلي بعض مضامين الرفض والسجن الشعرية إشارة عابرة؛ (٣) "نوگرایي در شعر مظفر النواب"، إعداد الطالب: بلاسم محسني، نوقشت عام ١٣٩٠ ش، بجامعة فردوسي، هذه الرسالة محاولة لدراسة جانب من مظاهر التجديد في شعره الفصيح دراسة تحليلية، حيث قسّمها علي ثلاثة أبواب: تناول في الباب الأول صورة الشعرية و في الباب الثاني اللغة الشعرية، وأما في الباب الثالث تناولت الإيقاع من حيث أهم الأوزان الشعرية التي وظفها في شعره؛ ٤. "بررسی تطبیقی ارزش-های انسانی در شعر مظفر النواب و علي موسوي گرمارودي"، إعداد الطالب: وفا محفوظي موسوي، نوقشت عام ١٣٩١ ش، ركزت في فصول أطروحتها علي المضامين والأغراض الرئيسة في شعر النواب التي شكلت المادة الأساسية لبعض نصوصه الشعرية وهي المقاومة والنضال لأجل الكرامة، العدالة، والحرية. والبحث الحالي يشتمل علي دراسة شعره السياسي مع التأكيد علي العناوين بما فيها: الأسباب الرئيسة للرفض في شعر النواب (الدول الكبرى والتوسعية، ظهور الأنظمة العسكرية في الدول العربية، الحكومات العربية والصفقات المشكوكة)، وأشكال النضال ضد السلطة عند مظفر النواب (دعوة إلي النضال المسلح جماعيا أو فرديا وتشجيعه، النضال عن طريق استخدام الشخصيات الرمزية، النضال باللغة البذيئة، ثنائية اللعن واليأس للأنظمة الطاغية)، ممارسات النظام الدموية في قمع المتمردين (الرقابة، قوات الأمن ودورها في قهر وإسكات المثقفين، السجن، الهجرة القسرية، الرفض أمام الجلاذ، إغتيال المثقف المتمرّد).

٣. المنهج النقدي لدراسة الظواهر السياسية في شعر مظفر النواب

إن أشعار النواب - كما شخصيته - هي ذات منحي ثوري دائم، وهي دوماً ضد التيار وضد المنطق السائد. لهذا نحن نعتمد في نقد أشعاره منهج النقد السياسي والاجتماعي؛ النقد السياسي كما وجدناه هو من صميم الشعر النوابي، هو نقد يختص أو يتعلق بالسياسة، ويشمل السياسات، والسياسة، والأحزاب السياسية، وأنواع الحكومات. أما النقد الاجتماعي من منظار الشعر النوابي فهو يحلل التركيبات الاجتماعية التي ينظر إليها علي أنها معيبة، ويستهدف إيجاد حلول عملية لتدابير محددة، وإصلاح جذري أو حتي تغيير ثوري بطرق سلمية أو إرهابية، كما سيأتي.

٣-١. الأسباب الرئيسية للرفض في شعر مظفر النواب

ما هي الدوافع التي جعلت الشاعر يحمل راية العصيان، وأجبرته علي كتابة قصائد الهجاء المسمومة؟ التي يُعدُّ اقترافها من الكبائر أو من المحظورات في أحسن الأحوال؟ وما هي الأسباب التي أرغمته علي كتابة هذا اللون الشعري، وساقته إليه، فراح يقذف بقصائده الحارقة التي جرت عليه كثيرا من المِحَن والمصائب؛ كالسجن، والنفي والمطاردة والتشريد والتصفية الجسدية؟

٣-٢. الدول الكبرى والدول التوسعية

النواب هو الشاعر الذي لا يزال يعلن غضبه الشديد، ومعارضته المستمرة لكثير مما يجري حوله؛ لأنَّ الشاعر لم يشاهد خلال القرن العشرين سوي غارات متتالية علي بلاده وأمهت بأيدي المستعمرين للأراضي العربية والمعتدين عليها مثل النظام البهلوي الثاني (المعتدي السياسي) والكيان الصهيوني. (القوصي، ٢٠١١ م: ٨-٩) يقول النواب: «يا بلدي يا سوق اللحم/ لكل الدول الكبرى بلدي/ يا بلدا يتناهشه (...). ويجلس فوق تنفسه الوالي العثماني/ وغلماان الروم/ وتحتلم "الجيتات" الصهيونية بالعقد التوراتية فيها». (النواب، ٢٠١٠ م: ٧٤)

٣-٣. ظهور الأنظمة الإستبدادية العسكرية في الدول العربية واقترافها المجازر

البشرية

يتخذ النواب من القبطان الذي ارتقي المنصب ولم يبحر قط رمزا لحاكم العصر الذي غالبا ما يعتلي العرش بانقلاب عسكري وبدماء سابقه، والذي يعرفه من دون مؤهلات للحكم فيسأله كيف صار علي الناس إماما وهو لا يعرف من الفنون البحرية إلا الوحل المثقل. وقد سجل تاريخه ودماء البحارين الأمجاد والأحرار الذين تلوثت أعناقهم: «أيها القبطان زورا/ ليس بالمركب والبحر ثقب/ إنما أنت هو الثقب/ ولن يمنحك البحر احتراماً/ تدعي المركب... هيهات/ ومن أين ولم تبحر/ وتاريخك وحل/ ودم النوتية الأمجاد في عنقك/ أصبحت علي البحر إماما». (النواب، ١٩٩٦ م: ٥١٢)

٣-٤. الحكومات العربية والصفقات المشكوكة

ويفضح النواب كل تلك البيانات العربية الكاذبة والصفقات المشبوهة التي تباع كل الأشياء العربية وليس النفط فحسب، تباع النخل وتنقل حتي الأرض مع النفط في البواخر بل يري أن "خنازير هذا الخليج" يبيعون أيضا الإنسان العربي

ويقبضون الثمن وليس للشعب المؤزر بالظلام غير الدماء: «تقول البيانات قد قتلوا عاملا واحدا/ تكذب العاهرة/ فهذا دم يجمع العرب الفقراء من الأطلسي إلي صفقة في الخليج/ وقد كفرت نخلة حين بيعت/ وإني مع النخلة الكافرة/ أري الأرض تنقل أيضا مع النفط/ في الباخرة/ خنازير هذا الخليج يبيعوننا». (النواب، ٢٠١٠ م: ٢٠٥)

إنهم أولئك الذين يبيعون أخضر البلاد ويابسها علي السواء، ولا يسكت الشاعر علي هذا القهر والخراب، بل يرد علي كل الحكومات العربية يمثل فعلها وينطق بقدر صمتها وزيادة من ذلك ما أراداه علي لسان بيروت شاكرا باسم الشهداء علي ما بذلوه في سبيل فك الحصار ويذكر منهم فهذا بالشكر الخالص: «نشكركم باسم الشهداء/ نشكر علانا وفلانا وفلينا والفلن الثاني وفهد/ بالذات فهد/ ما قصرتم أبدا/ نشكر همة أعضائكم الجنسية/ في صد هجوم الجيش الإسرائيلي/ نشكركم يا فضلات». (م.ن: ١٠٣)

كما يفقد الشاعر ثقته في كل تلك المنظمات العربية والدولية وهو يري فلسطين تُحتل والقدس تضيع - فهذه القضية في صدارة اهتمامات المثقف العربي والشاعر علي وجه الخصوص (قميحة، ١٩٨١ م: ٢٠٥-٢٣٠) - وهم يتفرجون في صمت أو يقيمون الجلسات الغائبة عن معايشة الواقع ومعالجة المشاكل الحقيقية أو ما أسماه «الجلسات الصوفية في الأمم المتحدة»: (النواب، ١٩٩٦ م: ص ٤٨٢) «وتبدأ الجلسة/ لا/ ولن/ ولم/ أبقوا لهيئة الأمم/ أم قمم/ كمب علي كمب/ أبا كمباتكم/ علي أبيكم/ جائفين/ تغلق الأنوف منكم الرمم/ لا تنعقد القمة/ أي تفو علي أول من فيها/ إلي آخر من فيها/ من الملوك، والشيوخ، والخدم». (النواب، ٢٠١٠ م: ١٦٠-١٦٢)

ومما لا شك فيه إن هناك يدا ظاهرة وراء كل هذه المآسي التي انفتحت عليها الشاعر وشارك شعوبه آلامها، هي يد الحكام بالدرجة الأولى، كما قال: «الذئاب هم قادة القافلة»، (م.ن: ١٧٣) و صوب إليها الشاعر أصابع الاتهام منذ البدء، وحملها مسؤولية كل ما تتخبط فيه الساحة العربية من اضطرابات وانهزامات وفقر وجهل وغيرها بدءاً بالمستعمر (أمريكا) الذي دمر كل شيء: «فالنسيان جميل وجميل/ أن تأتينا أمريكا بجيوش وأساطيل/ وجميل أن تحترق الأرض/ فلا يبقى زرعٌ ونخيل/ وجميل أن تختنق الخيل/ فلا يبقى نرقٌ وصهيل». (م.ن: ٤٠)

وانتهاء بخلفائه الذين لم يختلفوا عنه، إن لم يكن بعضهم أشد منه وأنكي، فقد صب الشاعر غضبه علي الحكام ومن والاهم وقدمهم في صورة لاذعة: «إن الحكومات في الشرق/ تسمية للملاهي». (م.ن: ٤٧-٤٨)

وهنا يعلن انتماءه إلي كل الجموع الراضة المقاتلة الباذلة في سبيل الأوطان؛ إلي أولئك الذين صنعوا من قهرهم هرما بلبنان، إلي أولئك الذين أضاء نضالهم أبراج بابل، إلي أولئك الجياع، إلي كل المقاتلين والمضرجين بدمائهم، المجندين علي المشانق، إلي الرسول الاعظم (ص) والإمام علي (ع) والإمام الحسين (ع) وإلي كل الثائرين عبر التاريخ: «أنا أنتمي للجموع التي رفعت/ قهرها هرما/ وأضاءت بروج السماء بأبراج بابل/ أنا أنتمي للجياع ومن سيقاتل/ أنا أنتمي للمسيح المجذف فوق الصليب/ لمحمد شرط الدخول إلي مكة بالسلاح/ لعلي بغير شروط/ أنا أنتمي للهداء/ لرأس الحسين». (م.ن: ٥٧)

٤. أشكال النضال ضد السلطة عند مظفر النواب

٤-١. دعوة إلي النضال المسلح جماعيا أو فرديا وتشجيعه (التمرد)

وهو شكل من أشكال المواجهة المسلحة للنظام القائم لبعض العناصر المدنية أو العسكرية أو الإثنين معا وذلك لممارسة

الضغط والتأثير علي النظام إستجابة لمصالح معينة لهذه القوي، وقد يكون التمرد طويل المدى مقدمة لثورة قد تطيح بالنظام برمته. وطبقا لحجم القوي التي تتمرد يمكن القول بأن هناك التمرد الإنفرادي أو الجماهيري، وهو الذي يشارك فيه عدد واحد أو عدد كبير من المواطنين. (آدم، ٢٠٠٢ م: ١٠٦) وهناك التمرد العسكري وهو الذي يقوم به الشاعر بالحرف وبالسلح يتحدي حصار الحدود المضروبة علي البلاد العربية من المحيط إلي الخليج الفارسي، ويتحدي قوانين المنع التي طالته وحينما وجد نفسه ممنوعا من دخول كثير من الدول العربية لا لسبب، إلا لأنه اختار الموت كلما علي الموت صمتا، فأعطته قصائده هاديات الحدود جناحا ومنحته ألف جواز سفر وألف تأشيرة دخول إلي البلاد العربية الكبرى، واستطاع الدخول إلي كل بيت وكل ناد وكل مجلس عربي، (النواب، ١٩٩٦ م: ٥٠٣) وهو يدعو الناس إلي ثورة مسلحة عنيفة ضد السلطات القمعية ورعيانهم.

والنواب لا يؤمن إلا بالثورة المسلحة التي تتحمل العبء الأكبر والرئيس في قتال العدو (المعيني وقصي الأعظمي، ٢٠١١ م: ٢٧) وبالتالي المقتحم، المتهم، المنتقم، أو ما يطلق عليه تسمية في قاموسه الشعري الخاص "الرجل البندقية" الذي لا يستريح ولا يجد فضاء من الوقت لملاذات الذات، ولا يحتكم إلا إلي السلح الكامل النضج، ولنقل غير المغشوش، فلا حل للمعضلات بغير الاقتحام الجريء، ولا هازم لوحدة الأعداء إلا إطباق وحدات البنادق: «اتهم واقتحم وبغير المنايا البنادق لا تلتزم/ قل أنا البندقية/ واقتحم أو فأنت الذي أتهم/ إما الرجل البندقية لا يستريح ولا يحتلم/ انهض إلي حربة أكملت وعيها نحتكم/ اقتحم واسحب السلسلة/ طبقوا وحدة البندقية/ وحدة أعدائكم تنهزم». (النواب، ٢٠١٠ م: ١٧١-١٧٣)

ويحرص الشاعر علي هذه اللغة المتفجرة الغاضبة، ويشكل معجمه الخاص، فإذا السلام عنده "سلام بالسلح"، (النواب، ١٩٩٦ م: ٩١) وإذا الفتح فتح ولكن بالسلح، وإذا الفداء هو الآخر وإن كان بالأجساد فلا بد من أن يكون بالسلح أيضا «لا تخدعوا بفداء بغير سلح»، (النواب، ٢٠١٠ م: ١٨٦) ويصنع معادلات لغوية هي الأخرى مقاتلة، فإذا الأبطال عنده يتوحدون بالسلح ويذوبون فيه ويتحولون في نظر الشاعر إلي سلح، لحمهم من لحم السيف، (م.ن: ١٧١) كما يريد منهم «سيوفا خالصة لله وسيوفا خالصة للثورة»، (النواب، ١٩٩٦ م: ٤٥٩) ويريد أيضا سكيننا خالصة للثورة غير مدجنة للمطبخ: «سكينك، احذر أن تتدجن للمطبخ/ يا عبد الله اشحذها/ نفذها تنفيذاً نفذها». (النواب، ٢٠١٠ م: ٩٥)

ثم يشخص السلح ويجعله صاحب الكلمة الأولى والأخيرة وصاحب القرار ويصبح «للرصاص مواعيده»، (م.ن: ٢٠٣) التي لا تخطئ أبدا، ويصبح من حق الرشاش أن يستغني عن كل الهيئات الدولية والعربية والقمم الطارئة والمؤتمرات الاستعجالية، وأن يعقد قمته منفردا ويركع من أراد «رشاشك يعقد قمته منفردا ونعالك في قمتهم»، (النواب، ١٩٩٦ م: ٢٢٦) وأن يحمل أخبار انتصاراته بدلا عن كل وكالات الأنباء عبر العالم: «رشاشك كان وكالة أنباء الثوار». (النواب، ٢٠١٠ م: ١٠٠)

ونلاحظ من خلال تأملنا للنصوص الشعرية السابقة، طغيان لغة الأسلحة الحديثة التي هي من مستحدثات هذا العصر، من بنادق ورصاص ورشاشات ودبابات مقابل الحضور المحتشم للسيف والسكين اللذين لا يتجاوزان الأثر الفردي عن قرب، لما توحى به الأولى من إشارات ترميزه أقلها القتل السريع والجماعي الذي تحدثه عن قرب وعن بعد أيضا.

٤-٢. النضال عن طريق استخدام الشخصيات الرمزية التراثية والمعاصرة

واضطر شعراء الرفض إلى الغموض تحت ضغط الواقع السياسي المتدرج، وسيط الاستبداد المطلقة علي المثقفين عموماً، حتى تحول الغموض إلي كوي صغيرة تنفذ من خلالها أفكار الشاعر وأحاسيسه وتجاربه، وأصبح الشعراء يلجأون إلي الرمز بشكل واع ومقصود، (حمود، ١٩٦٦ م: ١٨٣) لتجنب آلة القمع وأجهزة الرقابة، وتتجلي هذه الظاهرة عند مجموعة الشعراء منهم النواب حين شخصياته الرمزية لا تكاد تخرج عن إحدى الصورتين: إما الطاغية، والجلاد، والقاتل وإما السجين، والضحية، والشهيد، والبطل المثالي، وبتناول شيئاً منها.

٤-٢-١. فرعون

استنجد النواب بهذا الفرعون القديم الذي أقام أهراماً خلد بها الموتى من فرعون مصر الجديد الذي راح يبتني أهراماً جديدة لتخليد المخازي والهزائم، فهل يسمعه فرعون مصر القديم ومتي كان المملوك وهم في حالات الطغيان والاستبداد يصغون، لذلك يحول الوجهة إلي حاكم مصري آخر هو كافر الإخشيدي وكل ممالك مصر يطلب هبتهم لإنقاذ مصر- من هذا الفرعون الجديد: «فرعون، فرعون، فرعون/ يرتفع الصبح، فرعون، فرعون، فرعون/ يرتفع المجدد/ أفرعون يا من تُخلد أهرامك الموتى أسرع/ هنالك من يبتني هرماً للمخازي/ ولكن متي كان فرعون يصغي/ دعوت أبا المسك/ لكن متي كان كافر يصغي/ استجرت الممالك/ لكنهم أرسلوا مصر فوق الجمال/ لوالي الجزيرة كسوة». (النواب، ٢٠١٠ م: ٢٠٢-٢٠٣)

٤-٢-٢. عثمان

ويستثمر في شعره شخصية عثمان والظروف المحيطة بها والتحول الذي آل إليه أمر الحكم العربي من الشوري إلي التوريث ليعبر عن الواقع العربي الممزق بحرب الزعامات والكراسي المورثة والألقاب المورثة ويتعجب الشاعر كيف لهؤلاء المنشغلين أبداً باقتسام الميراث، المغيبين لأكثر أساس في الحكم وهو "الشوري" أن يسترجعوا فلسطين أو حتى شبرا منها وهم غارقون في طقوس اقتسام الأسلاب، مصرّون علي ألا يدعوا للجياع مقدار ذبابة، ولذلك يعلن رفضه المطلق لهم وانحيازه للجماهير المستضعفة، ويدعو علي نفسه إن هو انحاز يوماً إليهم، يقول ساخرًا من مزاعم الشوري وتبعاتها من الشعارات: «يقولون شوري/ ألا سوءة/ أي شوري/ وقد قُسم الأمر/ بين أقارب عثمان/ في ليلة/ ولم يتركوا للجياع ذبابة/ وكيف تقام علي ذاك النظام فلسطينكم/ بل أقل كثيراً/ أنا تكلتني الثواكل إن كنت أفهم هذا/ وأنحاز يوماً لغير الجماهير». (النواب، ١٩٩٦ م: ٤٣١)

٤-٢-٣. الإمام علي (ع)

ويستدعي شخصية الإمام الرمزية ويرسل إليه سلامه ويشكو إليه ما آل إليه حال الأمة كلها، من ذل وهوان ويستدعي إلي جانبها الكثير من الشخصيات المعاصرة لها، التي ساهمت في تعكير الأوضاع ذات يوم فيذكر عمرو بن العاص وأبا سفيان وعثمان وغيرها من الشخصيات التي وإن طواها التاريخ فإن أعمالها ما زالت تتوارث من جيل إلي جيل، وربما كان الخذلان أقواها، فلو ظهر اليوم علي (ع) من جديد لخذله حتى أنصاره بحججهم الواهية التي أطلقوها ذات يوم وثبتتها الإمام (ع) في إحدى خطبه إذ أمرهم بالجهاد صيفا قالوا هذه حمارة القيظ أمهلنا ينسلخ عنا الحر، وإذا أمرهم بالخروج شتاء قالوا

هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد. (علي بن أبي طالب، ١٤١٤ ش: ٤٠٢-٤٠٣) وما زالوا يتحججون بها في كل زمان ومكان، ولو عاد لألّبت حوله كل العصبية القومية لأنها هي الأخرى عادت إلي العصر وإلي رفضه خليفة لأن كفة الشوري ستميل مرة أخرى نحو المال والحكم عليه كما حكم علي كل المناضلين الأحرار بأنه زعيم المستضعفين؛ يقول الشاعر ومستحضرا شخصيات أخرى معاصرة له مثل أبي سفيان، وعثمان، رمزا للطواغيت. وهذه طريقة النواب في حشد الرموز التراثية التي إستخدمها لترسيم خارطة القمع العربي سياسيا: «أحمل لبلادي حين ينام الناس سلامي/ لشوارعها/ للصبر/ لعلي يتوضأ بالسيف قبيل الفجر/ أنبيك عليا/ ما زلنا نتوضأ بالذل/ ومسح بالخرقة حد السيف/ ما زلنا نتحجج بالبرد/ وحر الصيف/ ما زالت عورة عمر بن العاص معاصرة/ وتقبح وجه التاريخ/ ما زال أبو سفيان بلحيته الصفراء/ يؤلب باسم اللات العصبية القبلية/ ما زالت شوري التجار تري عثمان خليفتها/ وتراك زعيم السوقية/ لو جئت اليوم لحاربك الداعون إليك/ وسموك شيوعيا». (النواب، ٢٠١٠ م: ٤٦-٤٧)

٤-٢-٤. أبو موسى الأشعري

وينقلنا الشاعر إلي شخصية أخرى بارزة ساهمت في تحويل مصير الإمام علي(ع) من الثورة والرفض إلي السلم والمبايعة والاستشهاد، هي شخصية أبي موسى الأشعري الذي فرض علي الإمام (ع) وأنصاره في حادثة التحكيم، ويتخذ منها رمزا لخدلان رئيسه، وأمثاله وهم في زمن الشاعر كثيرون، لذلك هو يلمح بعدم التعويل عليهم وبعدم الثقة فيهم أو المرأهنة علي وساطاتهم الشبيهة بالأشعري الذي رجع إلي صاحبه صفر اليد، أو بخاتمه الذي خلع بواسطته رئيسه فلن تنتهي وساطاتهم إلا بتقديم شعبهم إلي المسلخ: «فقيم الرهان/ علي خاتم الأشعري/ وقيم الذهب/ بجلد الضحية/ للمسلخ الدولي/ ولّف العمامة/ زيفاً علي القُبعة/ متي كان في لحية النفط/ أو في الزبيبة من شرف». (م.ن: ٤٩-٥٠)

٤-٢-٥. الإمام الحسين (ع)

الإمام (ع) هو رمز خالد للتضحية والفداء من أجل الدين، والباحث عن العدالة ونصرة المستضعفين في وجه الجبروت، (بلاوي، ١٣٩١م: ١٤١) ولأنّ الثوار الراضين يتشابهون علي مر الزمن، يري الشاعر أنّ هنالك أشياء كثيرة تجمع بين الحسين وبينه وكل الثائرين والبلاد الثائرة لأن الثوار لهم وجه واحد: «وقدما لقد أفرغ الأمويون خمرتهم فوق رأس الحسين/ وأشياء.. وأشياء تجمع بين الجنوب ورأس الحسين/ وبينني/ وبين الفدائي وبين الجنوب ورأس الحسين وبينني. (النواب، ١٩٩٦ م: ٤٢٥-٤٢٦)

وإذ جعله يشترك إلي النضال ضد السلطات الديكتاتورية الفاسدة فيخرج من مرقده مضرجا بالدماء من جديد ربما ليصحح المسار، كل المغامرة تحدث في الشارع الذي حمل اسم الحسين (ع) وحوي مسجده بالقاهرة "شارع الحسين" ويتداعي الواقع العربي منهارا في النص، ويشتعل الإيقاع غضبا، (الكركي، ١٩٨٩ م: ١٩٥) إذ يري الشاعر التاريخ يعيد نفسه ويخذل المخلصين والأصفياء ولكن إلي حين فقط لأن انتصار الدماء هو الأقوي والأبقي: «بسم الله وطني/ علمني ألتزم النار/ لماذا كل هذا الصمت؟/ بيتدي حي الحسين النار/ يشترك الحسين بن علي خارجا بالدم من مرقده/ يصطف من صلي صلاة السيف والطلقة». (النواب، ٢٠١٠ م: ٢٩٥-٢٩٧)

٤-٢-٦. الحجاج

ومن الشخصيات الأموية التي صارت رمزا للظلم والتجبر، شخصية الحجاج التي استعارها الشعراء لتصوير واقعهم المليء بأمثال الحجاج الذي جرد سيفه وسجنه لردع كل معارض وخنق كل صوت رافض يحاول أن يرتفع في وجه طغيانها، (زايد، ١٩٩٧ م: ١٢٤) النواب استحضّر شخصية الحجاج، ولكن شاعرنا لا يكف عند حد المقاربة بين العصرين وشرح الحاضر بالماضي أو التعبير بالتراث عن الواقع، بل إنما جعل من نفسه طرفا في الحدث ومثل دورا في المشهد القمعي المعاصر، وقدم صورة لما يجب أن يكون ولما كان الشاعر يتمناه أن يكون. فلا أحد يستطيع الوقوف في وجه طغيان هذا العصر وقمعه للمجتمع العراقي المستكين غير الشاعر نفسه، فلو أن سيفا واحدا استل بالحق ذات يوم لأقصى الحجاج وتحرر الشعب العربي كله من قبضة الذل ولكن الناس أفلوا الذل والهوان: «يا وطني يتحكم فيك النسناس/ ... أقفلت الأبواب وصلي في الناس صلاة العهر الحجاج/ فكبر للعهر الناس/ وقفوا بين يدي الحجاج/ يا أهل الكوفة/ لو سيف واحد بالحق يسل/ سيقضي الحجاج/ ويعتق هذا التاريخ العربي من الذل/ كان الحجاج يطل علي المسجد من فوق المنبر/ يقلب أرواح الناس بكفيه/ مكتنز الجفنين من الخبث/ وقمت، توضأت، وفوضت بأمرى للسيف». (النواب، ١٩٩٦ م: ٤٠٣-٤٠٦)

٤-٢-٧. المتنبي

هو رمز لفكرة الصراع الأبدي بين الفنان وما يملكه من طاقات هائلة علي الخلق والإبداع، والسلطة الزمنية الغاشمة وما تملكه من أساليب البطش والخداع والمكر، هذا الصراع الذي ينتهي بموت الفنان الفاجع، (الرواشدة، ١٩٩٦ م: ٣١؛ الحناشي، ١٩٨٤ م: ١٨٧) كما يمثل معاناة الفنان وغربته في وطنه وتغربه عنه طلبا للخلاص منه. (يعقوب، ٢٠٠٨ م: ٢٥٢-٢٥٣) وربما كان مظفر النواب أكثر شيها بالمتنبي، أساءت إليه العواصم والمدن مثلما أساءت من قبل إلي المتنبي، فقد قضي- جل عمره منتقلا بين البلاد العربية وهاربا من بطش السلطان، وقد قاده فراره من سجن العراق إلي سجن الساواك الإيراني وعذابه، ثم تسليمه للذين فر منهم كما ذكرنا، ولذلك يشبه نفسه بالمتنبي ولاسيما في سلطة اللسان، وربما رأي شعره هو أشد وطأة من شعر المتنبي، حتي كأن الذي قتل المتنبي هو أشعار مظفر النواب التي يدمغ بها أمثال أعداء المتنبي في كل مكان: «يُسيءُ إلينا العِراقُ و في الحُبِّ حُلُوُّ يُساءُ/ أيا وطني ضاق بي الإناءُ/ كأن الذي قتل المتنبي لشعري ابتداءً/ لأمرٍ يهاجر هذا الذي اسمه المتنبي/ وما قُدِّرَ أنه في الجزيرة يوما/ و في مصر يوما، و في الشام يوما/ فأرض مجزأة والتجزؤ فيها جزاءً». (النواب، ٢٠١٠ م: ص ٢٠٨)

ويؤكد فكرة الارتحال الإجباري المتقاطعة مع ارتحال المتنبي وليالي السهاد والهم في قصيدة «جزر الملح»، ويوح في مونولوج يتعبه من ركوب البحر وكرهه فعل الإرساء الذي لا هدف من ورائه إلا الاستعداد لرحلة إجبارية أخرى. (النواب، ١٩٩٦ م: ٣٦٦)

٤-٢-٨. خالد الإسلامبولي

ويخص الجندي المصري خالد الإسلامبولي الذي رد علي لغة النظام المصري ممثلا في رئيسه أنور السادات وحاشيته بنفس اللغة، واختار أسلوب الإبعاد النهائي والإلغاء المطلق للخصم كرد فعل علي إلغاء السادات وتغييباته كإبعاد الكتاب عن وسائل الإعلام، وإبعاد آخرين عن النشر تماما، وفصل آخرين من العمل، واشتدت أساليب القمع بعد اتفاقيات "كمب

ديفد" وبلغت أوجها، ففي أوائل سبتمبر ١٩٨١ م، اعتقل ١٥٦٣ شخصا من بينهم أبرز الكتاب والمثقفين المنتقدين لسياسة السادات، (ستاغ، ١٩٩٥ م: ٧٠-٧٣) لأنهم يرونها صلحا منفردا مع "إسرائيل" لم يعد علي مصر- إلا بالذل والهوان، وقد أكد السادات نفسه في خطابه أمام الكنيست الإسرائيلي أنه غير كافٍ للسلام الدائم، (فواز، ١٩٩٣ م: ٣٦٦) وقد حسم الجندي خالد الإسلامبولي كل ذلك الصراع بطلقة واحدة، انتفض لها مظفر النواب وراح يضي عليها من القدسية والجلال، إنها التكبيرة الأولى لترايتل صلاح الدين الأيوبي: «طلقة ثم الحدث/ طلقة غاضبة تفتح في الشرق الحسابات/ فهذي طلقة قد أطربت حتي الجماد/ هذي كانت التكبيرة الأولى/ لأرتال صلاح الدين في أيامنا». (النواب، ١٩٩٦ م: ٢٠١-٢١٩)

ويجد الشاعر منفذا لتفجير أحزانه المتراكمة من الوضع العربي كله، ويتهجم علي حكامه ويخص منهم حكام الخليج الفارسي وحسني مبارك (قدور، ٢٠٠٦ م: ٢٠١) علي امتداد القصيدة ويكي من قدر الأصفار، من غربتها ووجعها وصمتها ويدعوها للثورة، لسحق كل آليات النفي العمياء، وبعث إيمان جديد لا يؤمن بفلسفة الجبر العمياء ويختم القصيدة المطولة بتحية خاصة لخالد الإسلامبولي: «إننا لا شيء/ أصفار/ نعاني غربة الصفر، احتلام الصفر/ حزن الصفر، صمت الصفر/ أخرج أيها الصفر من النفي النهائي/ انتفض... كن/ امحق الآلية العمياء والنفي/ ونفي النفي/ فالإنسان لا الجبرية العمياء قائد/ يعطي خالداً قلبي/ وشعري». (النواب، ١٩٩٦ م: ٢١٩-٢٢٤)

ومما لا شك فيه أن تحية مطولة ووقفة عند هذا الرجل الذي تضاربت حوله التأويلات وتعددت القراءات تؤدي غاية واحدة دعا إليها مظفر النواب تصريحاً في مواطن كثيرة هي الثورة. واللافت للإنتباه أن جميع الثورات المتحركة هنا وهناك قد أخمدت، كما أحمد ثوار نهضوا فرادي كسليمان خاطر العسكري المصري الذي أطلق النار علي الإسرائيليين في سيناء، وقتل عددا منهم، وتم اغتياله داخل زنزانه، (النواب، م: ٢٠١٠: ٢٢٢) وها هو خالد الإسلامبولي يخمد هو الآخر ولا يتغير شيء.

٤-٣. النضال باللغة البذيئة (الانتهاك اللغوي) عند الشاعر النواب

لجأ الشعراء في تعبيرهم عن رفضهم وثورتهم وانتقادهم للمشاهد المتردية إلي فعل ثوري آخر مواز لثورتهم الداخلية هو ثورة الكلمات وإرغام اللغة علي قول ما لم تعتد أن تقوله، (السيد، ١٩٩٦ م: ٢٨) بصناعة لغة أرضية هي لغة الانتهاك، (خير بك، ١٩٨٦ م: ١٣٠) وربما كان سيد هذه اللغة، النواب الذي يتفرد بقاموس أهاجيه المقذعة العارية المنتهكة التي ردّ بها علي صدمات النظام العراقي ونظام المخابرات الإيراني (الشاهنشاهي) والواقع العربي وانتهاكاته، وصار من شدة ما عاناه من بطش، يري الانتهاك كائنا حيا يلاحقه ويراقبه أي ولي، (النواب، م: ٢٠١٠: ٢٣٤) ورأي أنه لا يستطيع صد الانتهاك إلا بانتهكات لغوية مماثلة تعادلها أو تقاربها علي الأقل، لذا هو يهجم علي الوزراء واجتماعات البرلمانات وعلي شرطة الحاكمين والمخبرين الغلاظ، ينتقم منهم جميعا بدون حياء بطريقته الخاصة المرصعة بزخم شتائم حد الإفحاش: «أبول علي الشرطة الحاكمين/ إنه زمنُ البول/ فوق المناضد/ والبرلمانات/ والوزراء/ أبول عليهم بدون حياء/ فقد حاربونا بدون حياء/ سلطات القردة/ أحزاب القردة/ أجهزة القردة/ كلا، أشرف منكم فضلات القردة». (م.ن: ٧٠ و٤٨)

أولئك الذين باعوا فلسطين وإستخدموا أنواع القمع للسلام الدائم مع الصهاينة، الذين يقذفهم الشاعر بأقذع ألفاظ السباب والشتيم، ويعربهم في كل عواصم البلاد العربية لأنهم قتلوا فرحه، يشتمهم ويشتم حتى نفسه: «من باع فلسطين

سوي أعدائك أولئك يا وطني/ من باع فلسطين/ سوي قائمة الشحاذين علي عتبات الحكام/ ومائدة الدول الكبرى/ أولاد القحبة لست خجولا/ حين أصارحكم بحقيقتكم/ إن حظيرة خنزير أظهر من أظهركم/ في كل عواصم هذا الوطن العربي قتلتم فرحي/ ما أوسخنا، ما أوسخنا، ما أوسخنا/ ونكابر ما أوسخنا». (م.ن: ٧٩-٨٠)

ولم يستثن من سياطه حاكما عربيا أو أميرا أو وكيلًا أو خادما، ويتصاعد غضبه من الاستبداد المتواصل الذي عمّر حتى شاخ: «أبشع العهر عهر هرم»، (النواب، ١٩٩٦ م: ٢٦٦ و٥٤٠) ويبلغ ذروته عندما يسحب منهم الرجولة فيصفهم في أكثر من مشهد بالمخصيين ليس بيولوجيا ولكن فكريا وحضاريا، (النواب، ٢٠١٠ م: ١١١) وبخاصة عسكريا لأنهم «لم ينجبوا نصرا عسكريا واحدا» (الأسطة، ٢٠٠٢ م: ١٠١) ثم يشبه قوات المخابرات الوطنية بالعتة الخفية التي تسكن الإنسان وتعيش معه في كل مكان دون أن يراها. (النواب، ٢٠١٠ م: ١١٥)

٤-٤. ثنائية اللعن واليأس للأنظمة الطاغية عند الشاعر النواب

وإذ يعود الوضع إلي نقطة الصفر التي انتهى إليها الشاعر وإذا عجز الشاعر أمام تشبث أولئك بالبقاء وأمام عبقريتهم في الاستبداد لجأ إلي اللعن، واليأس، والدعاء حلاً أخيراً:

أ) اللعن: ويتفرد النواب بمعجم دعاء خاص استلهمه من ثوراته الغاضبة؛ في إحدي حالات يأسه من الأفق المسدود وهو ملقي علي الحدود الإيرانية العراقية وسيط السواك (جهاز المخابرات الشاهنشاهي الإيراني) تتهاوي عليه، يسأل الله سبحانه وتعالى أن يبدأ بالتخريب في تلك اللحظة رداً علي ما يحدثه الآخرون من فساد في الأرض: «اللهم ابتدئ التخريب الآن/ فإن خرابا بالحق بناء بالحق» (م.ن: ٨٨)

ويستعجل في قصيدة "القبطان" وعد الله لعباده المستضعفين في الأرض، فقد ألمه اللأمن والقمع ومشهد ركضهم الإجباري في المسالخ يوميا، ويدعوه أن يلتفت إليهم وينقذهم من أولئك القادة المتكبرين: «أين وعد الذين استضعفوا في الأرض/ والركض إلي المسلخ يوميا؟! أنا أصرخُ يا ربُّ!، التفت للناس». (م.ن: ٢٢٥-٢٢٦)

ويدعوه مرات أخرى أن يقضي قضاءه ولا يخجل من هؤلاء الحكام، وأن يكف عن الناس أذي الثيران والحكام المثقوبين، القردة وأقزام الردة والمتكرشين والشيوخ أبا عن جد، ويتخيل مشهد نهايتهم في الأخير ومآلهم الذي لا يراه إلا النار: «يا رب كفي خجلا/ يا رب كفي ثيرانا/ يا رب كفي خجلا/ يا رب كفي حكاما مثقوبين/ ألقوا أول أقزام الردة في النار وهاتوا الآخر/ من أنت؟! أنا: يصرخ يا ابن القحبة/ ألقوه كذلك/ هاتوا المتكرش/ والله أنا الشيخ بن الشيخ حفيد الشيخ/ يا رب كفي بقرا». (م.ن: ٦٩-٧٠)

ب) اليأس: وكذلك يتأمل الشاعر في وطن الخراب ماديا ومعنويا، في أن فيصاب بالذهول من جهة واليأس من إعمارته وفداحة انتهاكات الطغاة من جهة أخرى: «ولكن علي كل هذا الخراب المبجل كيف يتم البناء؟» (م.ن: ٢٣٨) ويبلغ به اليأس ذروته حين يري الظلم والطغيان يتكاثران في وطنه الحرّ ظاهراً أنه وطن الأعداء، ويعرب عن أسفه الشديد علي هذا الوطن المعروض للبيع: «وطني هل أنت بلاد الأعداء؟! يا وطني المعروض كنجمة صبح في السوق». (النواب، ١٩٩٦ م:

٤-٥. ممارسات النظام (العميل) في قمع المتمردين

إن ظاهرة الطغيان والقمع في البلاد العربية لم تعد مجرد حالات شاذة تصدر عن هذا النظام أو ذاك في ظروف خاصة وتظهر في حالة الضرورة ثم تختفي بعد زوال أسبابها، ولم تعد الممارسات القمعية مجرد إجراء وقائي لحماية النظام، بل إنما صار القمع والاضطهاد سمة بارزة لكل الحكومات المتعاقبة عثمانية وأجنبية وعربية، غير مرهون بطبيعة محددة لأنظمة ملكية أو جمهورية أو رجعية أو تقدمية أو رأسمالية أو اشتراكية، فجميعها مارس ما وصلت إليه عبقريته من فنون سحق الشعوب واضطهادها، كما أنه غير مرهون بمرحلة زمنية معينة أو بفترة انقلابية أو انتقالية معينة، (أبو نضال، ١٩٨١ م: ٧) وفوق هذا عمدت بعض الأنظمة العربية إلي الاستعانة بقوات أخرى خارجية لحماية نفسها من شعبها، (المسمري، ١٩٨٨ م: ٤١٠) وسنكتفي هنا بالوقوف عند بعض الممارسات التي ركز عليها النواب وتكرر حضورها في أشعاره ومنها رقابة المكتوبات قبل النشر، تعذيب جهاز الأمن والسجن، الهجرة الإلزامية، التشريد، والإغتيال، ولكن كل تلك الممارسات لم تستطع إسكات صوت الثائرين والرافضين والمتمردين.

٤-٥-١. الرقابة

يعرب النواب عن بالغ حزنه وأساه علي الرقابة المشددة من طرف كل الحكومات المتتالية في العراق والأنظمة العربية علي شعره، صمته، أوراقه، حركاته، سكناته وكل أحواله؛ ويتألم للمنع الذي طال قصائده بسبب موضوعاتها الجريئة، ويكفي دليلا علي ذلك منع طبوع ديوانه الذي لم تستطع جل دور النشر العربية تحمل مسؤولية إخراجه إلي النور، فطبع بلندن، وطبعت بعض دواوينه في فلسطين، ولكن هذا المطبوع أيضا ممنوع في معظم البلاد العربية، (الأسطة، ٢٠٠٢ م: ١٣٦) ويتساءل الشاعر في ألم شديد إن كان له في هذا الوطن الكبير حق في الكلام متي يشاء، والصمت متي يريد، والمشي- في الشوارع غير الرئيسة والبكاء، وإن كان له فيه حق من حقوق النشر والتوزيع ولو للنيران مجانا، كما يفعل الحكام ببعض الكتب المصادرة: «لماذا يدخل القمع إلي القلب/ وتستولي الرقابات علي صمتي وأوراقتي/ وخطوي ومتهاتي/ ألا أملك أن أسكت/ أن أنطق/ أن أمشي بغير الشارع الرسمي/ أن أبكي/ ألا أملك حقا من حقوق النشر-/ والتوزيع للنيران مجانا». (النواب، ١٩٩٦ م: ٢٠٣)

ولذلك ينتهي مظفر النواب إلي أن المدينة لا تكون إلا بالشعراء، فإذا منع الشعراء من القول، أو احتكر فن القول مثل الشعير، فلن يرتفع في سمائها إلا نقيق الضفادع الذي يعلن عن موتها: «مدينة يمنع فيها الشعر/ أو يحتكر الكلام كالشعير يا حبيبتي/ مدينة يقتلها النقيق». (النواب، ٢٠١٠ م: ٢٣١)

٤-٥-٢. قوات الأمن ودورها في القهر والإسكات

يأتي في مقدمة سدنة الإستبداد العربي جهاز الأمن بمباحثه ومخبريه، فقد حاول الشاعر وهو يطوف بالبلاد العربية الواحدة تلو الأخرى ويمنع منها تعداد رجال المباحث وقرر بعد عجزه في هذه المهمة المستحيلة، (قدور، ٢٠٠٦ م: ١٨١) أنهم كالعوض لا يمكن عددهم أبدا، (النواب، ٢٠١٠ م: ٢٠٥) حتي يصبح اللأمن وجهازه غولا يطارد الشاعر أني وئي وجهه في البلاد العربية أو ما صغره احتقارا "الدويلات" القائمة علي الانتماءات الطائفية الضيقة: «أري الانتهاك يراقبني/ والدويلات ترفع أعلامها الطائفية مزهوة، (م.ن: ٢٣٤) كذلك وتمتد أيادي جهاز الأمن في هذه الدويلات إلي كل مكان:

«كيف يكون الإنسان شريفاً/ وجهاز الأمن يمد يديه بكل مكان». (م.ن: ٣٧٤)

من هنا يسمي النواب دوريات الأمن التي تجوب الشارع العربي بـ "دوريات الإخفاء" التي تمارس علي كل فم مفتوح عملياتها الجراحية الخاصة ليعم الشارع بعدها صمت مطبق: «دوريات الإخفاء تجوب الشارع/ أغرب شيء/ أي فم يفتح/ فوراً يجري التخدير ويخصي/ ما هذا الصمت المتحرك بالشارع إلا إخفاء». (م.ن: ٣٥٢) ويتساءل متي تنتهي كل هذه الأحداث "الفوازير" وكل أولئك المخبرين الغلاظ الوجوه والنشرات الرخيصة، (م.ن: ٤٨) ومتي يتخلص الشارع العربي من مظاهر الأمن والقمع.

٤-٥-٣. الحوار بين الشاعر ومخبر الأمن

ولمظفر النواب الذي عاش التشرد والهروب والضياح حواس أخري يتحسس بها هذه الموجودات غير المرئية ويرهاها تمد أياديها بكل مكان، (م.ن: ٣٧٤) ويخترع لها تسميات عديدة منها كُتاب التقارير الذين يفقد معهم أدبه وقال: «فيا حضرة كتاب التقارير/ تشيطنت»، (النواب، ١٩٩٦ م: ٥٢٠) ثم يجري حوار جرئ مع أحدهم الذي يلزمه كالظل حتي في لياليه الباردة العارية، وكأن البلاد العربية كلها بخير من المحيط إلي الخليج الفارسي ولم تعد تحتاج إلي خدمة أخري تصلح من شؤونه إلا ملازمة الشاعر، وكأن "إسرائيل" أصبحت ترش ماء الورد بدل القناديل ولم تعد الساحة تحتاج إلي جندي يرد هجماتها: «يا من تسعل من كل مكان إلا حلقك/ البرد شنيع وقضيت الليل تراقبني/ العرب الأعراب من البحر إلي البحر بخير/ و"إسرائيل" ترش علينا الورد من الجو/ وأنت تراقبني/ ما أجمل هذا المنظر/ "إسرائيل" ترش وأنت تراقبني». (النواب، ٢٠١٠ م: ٣٥٣)

ويرجوه أن يكتب ما شاء دون أن يريه وجهه الذي ربما تخيلناه بقناع بشع أو نظارات سوداء مما جعل الشاعر ينفر منه ويشتمز: «أكتب ما شئت لمن شئت بما شئت/ ووجهك للحائط أرجوك/ تشكيلة ووجهك تزعجني/ عفوا لا أقصد جرحك في شيء». (م.ن: ٣٥٣)

ثم يسأله إن كان قد أفزعه في شيء أو أنه يحب كسب مال إضافي لشراء حذاء لهذه الخدمة التي يقدمها لأسياده ولكن هل يساوي هذا الكاتب التعيس وراتبه وتقريره ثمن الحذاء: «هل ظل هناك ما يجرح فيك/ هل أذيتك في شيء/ إن كنت بهذا التقرير توفر خبز عيالك/ سيشبون حراما/ أو كنت تريد شراء حذاء/ أنت وتقيرك والراتب يا دوب حذاء». (م.ن: ٣٥٣ و٣٥٤)

٤-٥-٤. السجن

إن السجن بالمعني الكامل للكلمة وبقيوده وظروفه لم يستطع أن يشعر الشاعر السجن بالعجز ولم يلغ وجوده أو يطمس شخصيته، بل إن كل محاولات الإلغاء والتدجين التي كلفت بعض الأنظمة غالبا، أخفقت في عملية التدجين وعجزت حتي عن إسكاته أو حتي منع قصائده المهربة من الوصول إلي الشارع العربي. ومن هنا يقول حسن السنيد: وابنوا (جدار الصين)، وابنوا فوقه (أسوار بابل)، لكنكم سترون أشعاري، تُخَبُّ في السنابل، سترونها تهتز فوق الصخر، تصرخ كالمعالول، سترونها بين الرمال، وخلف جدران المعامل، سترونها في ضحكة الأطفال، في حزن الأرامل (السنيد، ١٩٨٨ م: ٣٩-٤٠) ومن هنا يقول النواب في سخرية قاتلة إن البلاد العربية الكبرى كلها سجون ممتعة، ممتدة من البحر إلي البحر:

«العرب الأعراب من البحر إلى البحر بخير/ وسجون ممتعة»، (النواب، ٢٠١٠ م: ٣٥٣) وحينما تتراكم آلام مظفر النواب، يجأر بشكواه إلى الله تعالي من انعدام شعوره بالأمان وبالانتماء إلى الوطن فحتي الطير لها أوطان تؤوب إليها، بينما يظل هو محلقة في هذا الوطن الممتد من المحيط إلى الخليج الفارسي، لأنه لم يجد فيه غير السجون المتلاصقة: «سبحانك كل الأشياء رضىً سوي الذل/ وقنعتُ يكونُ نصيبي في الدنيا كنصيبِ الطير/ ولكن سبحانك حتي الطيرُ لها أوطان/ وتعود إليها، وأنا مازلْتُ أطيّر/ فهذا الوطن الممتد من البحر إلى البحر/ سجونٌ متلاصقة/ سَجَانٌ مُسِكٌ سَجَانٌ» (م.ن: ٣٧٦)

إنَّ بعض الحكام قد تفننوا في تهريب السجون إلى أماكن مجهولة ومنها سجون النظام الصدامي في إخفاء مخططاتها العمرانية، فلا يعرف مداخلها ومعابرها وأبوابها الداخلية سواهم. (قدور، ٢٠٠٦ م: ٢٢٩) وحينما نأتي إلى السجن العراقي من الداخل، نجد الشاعر يجتهد في نقل خبايا ذلك العالم المجهول وينقل إلينا صوراً عن ديب الحياة بداخله برغم السجن والجلاد والرقيب ومن والاهم، ولا أحد يستطيع الإهتداء إليه بخارطة مظفر، لأنه يقع في مكان تعجز المدارك عن تصوره، فهو وراء محيطات لا نعرفها، محيطات رعب تسكنها الغيلان (موظفين سلطة البعث)، وهنالك "قلعة الصمت" التي لا يسمع فيها صوت، و في تلك القلعة بئرٌ موحشة صامته قبور الموتى: «فوراء محيطات الرعب المسكونة بالغيلان/ يتأكد هنالك قلعة صمت/ في القلعة بئرٌ موحشة كقبور ركن علي بعض/ آخر قبر يفيض بالسر- إلى سجن». (النواب، ١٩٩٦ م: ٤٦٥) ويسميه جباً حيناً آخر، كناية عن السجن المؤبد والتغييب المجهول لكثير من أبناء البلاد العربية، الذين انتهوا إلى الجب ولم يخرجوا منه قط: «آه من الجب في الأمة العربية، آه». (النواب، ٢٠١٠ م: ٢٤٣)

٤-٥-٥. الهجرة القسرية

إن للهجرة القسرية من البلاد العربية تاريخاً طويلاً. كما تعددت أسباب الهجرة القسرية في القرنين العشرين والحادي والعشرين، وهي تتضمن الأفعال الاستعمارية (طرد الفلسطينيين من أرضهم) وسياقات ما بعد الاستعمار (مثل اللاجئين الصحراويين والأكراد) وأوضاع الصراع وما بعد الصراع في عهد النظام البعثي العراقي (كما في حالة طرد المعارضين). (حنفي، ٢٠١٤ م: ٧١) ويبين مظفر النواب، وهو أحد هؤلاء المعارضين في رحلته التائهة عبر الصحراء من العراق إلى إيران أسباب تلك الهجرة المضنية، كانت للبحث عن الأمن المفقود في العراق ويستجد بأول من يلقاه في دربه المتعب أن ينقذه من وطنه المثقل بالإستبداد وما يجر منه: «أنقذني من وطني/ أمن،/ أمن،/ أمن،/ إلام أنا وطنٌ في العزلة؟». (النواب، ٢٠١٠ م: ٧٣٦٥)

كما ذكرنا، ينقل لنا الشاعر جزءاً من رحلة فراره خشية الوقوع في سجن القوميين الذين احتدم صراعهم بالشيوعيين وازداد بطشهم، ولكنها لم تكن يشتهي الشاعر ويتمني، فقد قادته إلى صحراء إيران وكانت له عيون الشاه "السواك" بالمرصاد هناك، وكان العذاب الوحشي ثم العودة إلى يد السلطات العراقية، وحكم الإعدام الذي خفف فيما بعد إلى المؤبد في سجن "نقرة السلطان" و"الحلة". (ياسين، ٢٠٠٣ م: ٢٥-٢٦) يحدثنا الشاعر عن فحل حمام (هو مظفر نفسه) يتمطي جناحيه ويهاجر إلى الصحراء، و في ليل الصحراء الخائف تعوي الذئاب ويرى الشاعر الهارب المتخفي النخل كائنا آخر غيرها، هو الغيلان الإيرانية (موظفي السواك) التي أخذت تقترب منه شيئاً فشيئاً لإعتقاله وتعذيبه حتي الإغماء: «فحلٌ حَمَام في جبل مهجور/ كنت أجوب الحزن البشري الأعمى/ فاصحرتُ بلا أي علامات أو أي صدي/ وعرفتُك لا تنوي الرجعة/

تعلم ألا ينضج كل النضج/ بين عواء النفس وبين عواء الذئب/ وبين هروبي في النخل يرافقتني نصف الدرب/ شم الذئب الشاهنشاهي دمي/ شم الذئب دمي، سال لعاب الذئب علي قدمي، ركضت/ .. في طهران وقفت أمام الغول». (النواب، ٢٠١٠ م: ٨٣-٨٨) ويصبح خادم الأمن عند مظفر النواب ذئبا شرسا في عملية صيده وإعتقاله.

٤-٥-٦. الرفض أمام جلاده

وكما سرد مظفر النواب تفاصيل رحلة ضياعه في الصحراء ووقوعه خطأ في أيدي الساواك الإيراني مازجا بين الواقع والرمز، يحدثنا عما تعرض له من عذاب علي أيديهم يكفي أن نعرف بشاعتهم من عبارته "وزاغ الجرح" التي نفهم من ورائها غياب الشاعر عن الوعي، وتدفق دماثة: «وجاء التعذيب/ وزاغ الجرح/ ألمني الجرح». (م.ن: ٨٦)

ويصنع النواب من أحد هؤلاء الجلادين مخلوقا عجيبا يكاد يخرج من دائرة البشر لغلظة منظره وبشاعته: «وكان كبير الجلادين له عينان/ كبيتي نمل أبيض مطفأتين/ وشعر خنازير ينبت من منخاريه/ و في شفثيه مخاط من كلمات/ كان يقطرها في أذني/ ويسألني: من أنت؟». (م.ن: ٨٨)

يتناوب عليه عشرة جلادين بالسوط والأحذية الضخمة حتي يغيب عن الوعي ويتشقق لحمه تحت السياط، ولكنه يظل مع ذلك صامدا، بل ينهض ويرد علي مفتشه بما تستطيع قواه الهازمة "بصقت عليه"، فيدق رأسه ثانية في الأرض: «تناوبني بالسوط وبالأحذية الضخمة عشرة جلادين/ غامت عينا من التعذيب/ تشقق لحمي تحت السوط/ فنهضت، وقفت أمام الجلاد/ بصقت عليه من الأنف إلي القدمين/ فقدت رأسي ثانية بالأرض». (م.ن: ٨٨-٨٩)

ويأتونه بكرسي (الكروسي الكهربائي علي الأرجح)، ويمزقون ثيابه ويهددونه بالعبور عليه كما مرّ بضع معتقلين سياسيين إن لم يعترف، (أبراهاميان، ٢٠٠٣ م: ١٥٢) ثم يسكت الشاعر ولا يحدثنا إلا عن عرقه والألم الذي اكتسح جسمه: «وجيء بكرسي حفرت هوة رعب فيه/ ومزقت الأثواب علي/ ابتسم الجلاد/ أمسكني من كتفي وقال/ علي هذا الكرسي خصينا بضع رفاق/ فاعترف الآن/ اعترف الآن/ عرقت، وأحسست بأوجاع في كل مكان من جسدي». (النواب، ٢٠١٠ م: ٨٩-٩٠)

وإلي جانب كرسي الإخفاء هذا، يذكر النواب أجهزة أخرى تجعلنا نتخيل السجن في إحدي غرف العمليات متمددا علي طاولة التشريح والمباضع والمخالب وآلات أخرى تلعب في الجسد اليقظ علي غير عادة الأطباء الذين يخدرون المريض حتي لا تفجعه رؤية تلك الآلات. (ياسين، ٢٠٠٣ م: ٢٨٨)

ولكن كلما تمادي الإستبداد وعماله في القمع، تمادي الشاعر السجن في التمرد والصمت، وما تلك المواقف الصامدة، الراضة، المتحدية النائرة إلا إحدي النتائج الحتمية للقمع والتعذيب، إلي جانب نتائج أخرى عملية تمثلت في مساهمة السجن في الحركات النضالية من عمق السرايب والأقبية. (شريف عسكري، ٢٠١٤ م: ١٠٥)

ولكنه لم يعترف، فالشعب أمانة في عنق الثوري، فلم تقف الجدران ولا السجن ولا أجهزة العذاب وفنونه في وجه ذلك التواصل الجميل، لأن الشاعر يستمد قوته من الشعب الواقف خلف الأسوار: «رفضتُ/ وأطبقت فمي/ فالشعب أمانة في عنق الثوري/ رفضتُ». (النواب، ٢٠١٠ م: ٩٠)

كما يقول النواب فامتد صموده إلي اليوم التاسع، ولما كفوا عن تعذيبه، ونزعوا القيد جاءت معه قطع اللحم، وكان الشرط أن يتعهد ألا يتسلل ثانية إلي الأهواز: «في اليوم التاسع كفوا عن تعذيبي/ نزعوا القيد، فجاء اللحم مع القيد». (م.ن: ٩٠)

٤-٥-٧. الإغتيال

ولأن الأدباء والشعراء يمثلون ضمير الشعوب وممثلي إرادتها، فقد واجهوا في سبيل مواقفهم وكتاباتهم ومساهماتهم الفعلية في الرفض ما لا قوه من اضطهاد وسجن وتعذيب ونفي وتشريد وتصفية إن اقتضت سلامة الحكومة ذلك، فالسلطة لا تقتل الشعراء لأنفسهم وحسب، بل لأنهم دعاة الحرية ولسان الشعب، وقادته نحو التنوير، وروحه الذي كلما ألقوا به إلي النار بعث من جديد: (العالم وآخرون، ١٩٨٨ م: ١٤٢) «أعرف أن القاتل خلف حذائي/ في الشارع، في السلم، في الغرفة/ في المسموح من الكتب». (النواب، ٢٠١٠ م: ٢٦٨)

"التصفية الجسدية" هي الحل الأخير الذي يلجأ الطغاة إليها بعد بأسهم وفشل كل المحاولات في تدجين المعاكسين، وهي عمليات القتل التي تستهدف شخصيات رسمية تشغل مناصب ذات تأثير علي القرار السياسي أو ذات صلة بمراكز صناعة القرار والفكر، و في مقدمتهم رؤساء الدول، والوزراء وزعماء الأحزاب، ورؤساء تحرير الصحف، والمثقفين. (آدم، ٢٠٠٢ م: ١٠٦) والشاعر يعلن عن صموده وثبات شعبه في مواجهة الإغتيال والإرهاب السياسي: «ولست أخاف العواقب فيما أقول/ فإن الشهادة من أجل قول جريء، ومعتقد/ قبة وضريح»، (النواب، ٢٠١٠ م: ١٨٦) وبهذا نسج حول إقدامه وخوضه ضد الطغاة هالة من القدسية، وكذلك يصطبغ شعره بصبغة ثورية مقتدرة بارزة: «لا أخاف/ قدمي في الحكومات/ في البدء والنصف والخاتمة». (م.ن: ١٥٦)

٥. النتيجة

ولا يسعنا في ختام هذه الدراسة إلا تلخيص أهم ما انتهينا إليه في جملة من الملاحظات والنتائج أهمها: (١) يمثل النواب طليعة من طلائع النضال في التراث السياسي العراقي والعربي، و في حاضرهما الثقافي أيضا، وكان مناضلا مهموما بأفة الاستعمار وبحقوق الشعوب المناضلة من أجل حريتها وكرامتها، وبأساليب الغدر والقمع التي مارسها الفاشيون والملكيون والرجعيون، ويمارسونها في كل الأقطار العربية؛ (٢) وكانت مضامينه الشعرية تصدر عن رؤية تتجذر معطياتها في أعماق تاريخ المعارضة السياسية العربية؛ (٣) وعاش داعية لتغيير عقول الحكام والمحكومين، ولم يكتف بـ "التنظير الشعري"، بل آمن بضرورة العمل والتضحية من أجل انتصار الحرية؛ (٤) تميز النواب بنبرة حادة، تتميز بالشميمة السياسية، فكلما جلد الآخرون الشاعر وأرهبوه وألقوا راحته فقد جلدهم بسياط كلماته وأرهبهم وأحرقهم بقصائده، وكلما تمادوا في فعل القمع، تمادي في رد فعله تحديا وسبًا مقدعا تصريرا؛ (٥) ينتقل النواب من حالة النقد والشتم إلي حالة استنهاض الشعب والثورة المسلحة وشن الهجوم المعاكس؛ (٧) تتمازج في أشعاره الصور الحقيقية بالرمزية، فما صور الفراغة والحجاج وغيرهم إلا معادلات لصورة طاغية العصر وجلاده، وما عثمان وخلافته إلا الفتنة الكبرى في تلاشي أمة العرب، وما الإمام علي (ع) والإمام الحسين (ع) وخالد الإسلامبولي وغيرهم إلا معادلات موضوعية للتأثر عبر التاريخ الإنساني، والرافض علي امتداده، والمستعد للتضحية والفداء في سبيل ما يؤمن به وما الأشعري إلا معادلة للصفقات المشبوهة وخذلان لجناح الحق، وما المنتبي إلا موازنة للشاعر الرافض الذي حكم علي نفسه بالترحال والفرار الدائم؛ (٧) الاستبداد وما نتج عنه من الرقابة والقبض والحبس والتعذيب ونفي البلد والإغتيال لم يستطع أن يشعر النواب وزملائه بالعجز، بل إن كل محاولات

التدجين عجزت عن إسكاتهم أو حتي منع قصائدهم المهربة من الوصول إلي الشارع.

الهوامش

١. واكبت الشعر العربي الحديث تاريخياً حركة ثورية شاملة في الفكر والسياسة والأدب والاجتماع والواقع، وحلت محل ارسنقراطية الشعر وتغنيه بالإمارة والبطولة والأمجاد الفردية، ديمقراطية الشعر وتشخيصه للهموم والأوجاع الوطنية والبشرية العامة. (إمطانيوس، ١٩٨٦ م: ١٠؛ إسماعيل، ١٩٨١ م: ٣٧٤)

٢. شاعر عراقي معاصر (١٩٣٤ م- ٢٠١١ م). ولد في بغداد من أسرة ثرية عين مدرسا بعد تخرجه من الجامعة وما لبث أن فصل بسبب انتمائه إلي الحزب الشيوعي العراقي وظل عاطلاً من العمل إلي ثورة ١٩٥٨ م [إنهيار النظام الملكي في العراق]، حيث عين مفتشا واضطر أمام احتدام الصراع بين القوميين والشيوعيين إلي الهروب إلي إيران عام ١٩٦٣، ولكنه وقع في يد جهاز الأمن الشاهنشاهي الإيراني "الساواك" وأخضع لتعذيب وحشي، و في ١٩٦٣/١٢/٢٨ م، سلّمته السلطات الإيرانية إلي الأمن السياسي العراقي، فحكمت عليه المحكمة العسكرية هناك بالإعدام، ثم خفف الحكم إلي السجن المؤبد، تنقل بين سجن "نقرة السلطان" و"الحلة" واستطاع الفرار مع مجموعة من ذوي الأحكام المؤبدة بحفر خندق وظل متخفياً إلي عام ١٩٦٩ م، حيث صدر عفو عن الهاربين وعاد إلي وظيفته مدرسا، ثم أعيد إلي السجن إثر حملة الاعتقالات التي لحقت بالشيوعيين، ولم يطل مكثه. غادر العراق بعد الإفراج عنه وأخذ ينتقل بين البلاد العربية واستقر به المقام في سوريا، بعدما منع من دخول أغلب البلاد العربية لأهجاية اللاذعة، (ياسين، ٢٠٠٣ م: ١٥-٢٩) ورغم عداواته الشخصية للنظام العراقي السابق، فإنه غضب من تلقيه التهاني بسقوط بغداد، وطالب المثقفين بفتح بيوت عزاء لسقوط بغداد في أيدي القوات الأمريكية. (النواب، ٢٠١٠ م: ١٧-١٨)

٣. ومظفر النواب من الشعراء الذين طابقوا بين نتائجهم الإبداعي وحياتهم، علي نحو يدفع مقارنته بالتشيلي "بابلو نيرودا" والأسباني "غارثيا لوركا" والإيراني "خسرو غلسخي".

٤. يذهب نزار قباني إلي أن الشعر سلاح وبنديفة، حصن ولغم، ولا يتردد في الحكم علي كل كلمة لا تلعب دور البندقيفة بأنها كالنفايات في سلة المهملات أو كالعلف للحيوانات، ذلك أن المرحلة والبيئة التي يهيمن عليها الصراع المسلح قد تحول الشعر إلي رديف للسلاح. (مقلد، ١٩٩٦ م: ١٤٣)

٥. المارشال الروسي "زاخاروف" قال للرئيس عبد الناصر: لو أن كل دبابة من الدبابات السوفيتية التي تركها المصريون في سيناء أطلقت عشر- طلقات فقط، لكسب العرب الحرب. (فواز، ١٩٩٣ م: ٥٣)

المصادر

١. الكتب العربية
٢. القرآن الكريم.
٣. علي بن أبي طالب. (١٤١٤ ق) نهج البلاغة، تحقيق وتنسيق السيد صادق الموسوي، ط ١، بيروت، الدار الإسلامية.
٤. أبو نضال، نزيه. (١٩٨١ م) أدب السجون، الطبعة الأولى، بيروت، دار الحدائفة للطباعة والنشر والتوزيع.
٥. الأسطة، عادل. (٢٠٠٢ م) مظفر النواب - الصوت والصدى -، ط ١، مكتبة مدبولي.
٦. إسماعيل، عز الدين. (١٩٨١ م) الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ط ٣، بيروت، دار العودة ودار الثقافة.
٧. الإمارة، علي. (٢٠١١ م) ترسبات الحرب في الشعر العراقي الجديد وقراءات أخرى، سلسلة الدراسات (٩)، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
٨. إمطانيوس، ميخائيل. (١٩٨٦ م) دراسة في الشعر العربي الحديث، ط ١، بيروت، المكتبة العصرية.

٩. الحمد، تركي. (١٩٩٣ م) الثقافة العربية أمام تحديات التغيير، ط ١، بيروت، دار الساقى.
١٠. حمود، محمد العبد. (١٩٦٦ م) الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها ومظاهرها، ط ١، الشركة العالمية للكتاب.
١١. الحناشي، يوسف. (١٩٨٤ م) الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، ط ١، تونس، الدار العربية للكتاب.
١٢. خير بك، كمال. (١٩٨٦ م) حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ترجمة لجنة من أصدقاء المؤلف، ط ٣، لبنان، دار الفكر.
١٣. الرواشدة، سامح. (١٩٩٦ م) شعر عبد الوهاب البياتي والتراث، ط ١، الأردن، وزارة الثقافة عمان.
١٤. زايد، علي عشري. (١٩٩٧ م) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ط ١، القاهرة، دار الفكر العربي.
١٥. ستاغ، مارينا. (١٩٩٥ م) حدود حرية التعبير، تجربة كتاب القصة والرواية في مصر في عهدي عبد الناصر والسادات، ترجمة طلعت الشايب، ط ١، القاهرة، دار شرقيات للنشر والتوزيع.
١٦. السنيد، حسن [جواد جميل]. (١٩٨٨ م) أشياء حذفتها الرقابة، ط ١، بيروت، دار الفرات للنشر والتوزيع.
١٧. السيد، علاء الدين رمضان. (١٩٩٦ م) ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث (دراسة بحثية نقدية)، ط ١، دمشق، مطبعة اتحاد الكتاب العرب.
١٨. شكري، غالي. (١٩٧٩ م) أدب المقاومة، ط ٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
١٩. العالم، محمود أمين وآخرون. (١٩٨٨ م) في قضايا الشعر العربي المعاصر دراسات وشهادات، ط ١، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
٢٠. قميحة، مفيد محمد. (١٩٨١ م) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ط ١، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
٢١. القوصي، محمد عبد الشافي. (٢٠١١ م) شعراء في مواجهة الطغيان، ط ١، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد.
٢٢. الكركي، خالد. (١٩٨٩ م) الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، ط ١، بيروت، دار الجيل، عمان، مكتبة الرائد العلمية.
٢٣. مجموعة مؤلفين. (١٩٨٣ م) الأديب وصناعته: دراسات في الأدب والنقد، اختيار وترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط ٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٢٤. مرّوة، حسين. (١٩٨٦ م) دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، ط ٣، لبنان، مؤسسة الأبحاث العربية.
٢٥. المسمري، صالح سميع. (١٩٨٨ م) أزمة الحرية السياسية في الوطن العربي، ط ١، الزهراء للإعلام العربي.
٢٦. المعيني، خالد وقصي الأعظمي. (٢٠١١ م) استراتيجية المقاومة العراقية، مراجعة وتدقيق صائب القهوجي، ط ١، دمشق، مركز الدراسات العسكرية.
٢٧. مقلد، محمد علي. (١٩٩٦ م) الشعر والصراع الإيديولوجي، ط ١، بيروت، دار الآداب.
٢٨. النواب، مظفر. (١٩٩٦ م) الأعمال الشعرية الكاملة، ط ١، لندن، دار قنبر.
٢٩. ياسين، باقر. (٢٠٠٣ م) مظفر النواب حياته وشعره، ط ٣، إيران، قم، دار الغدير.
٣٠. يعقوب، أوس داوود. (٢٠١٠ م) مظفر النواب شاعر الثورات والشجن، (جمع وإعداد)، ط ١، دمشق، لدار صفحات للدراسات والنشر.

ب. الكتب الفارسية

٣١. أبراهاميان، يرواند. (٢٠٠٣ م) اعترافات شكنجه شدگان (زندانها و ابزار ندامت هاي علني در ايران نوين)، مترجم رضا شريفها، ج ١، سوئد، نشر باران.
٣٢. الخليل، سمير. (١٣٧٠ ش) جمهوري وحشت سياست عراق امروز، ترجمه احمد تدين، ج ١، تهران، انتشارات طرح نو.
٣٣. الأطاريج والرسائل الجامعية
٣٤. آدم، قبي. (٢٠٠٢ م) «رؤية نظرية حول العنف السياسي»، مجلة الباحث، عدد ٠١.
٣٥. بلاوي، رسول. (١٣٩١ ش)، توظيف الموتيف في شعر يحيى السماوي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، مشهد، جامعة الفردوسي.
٣٦. حنفي، ساري: (٢٠١٤ م) «الهجرة القسرية في الوطن العربي: إشكاليات قديمة جديدة»، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٢٧.
٣٧. شريف عسكري، محمد صالح ومرتضي زارع برمي. (٢٠١٤ م) «شعر السجون في الأدب العراقي المعاصر، الأعمال الشعرية لحسن السنيد نموذجاً»، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، السنة العشرون، العدد ١.

٣٨. فواز، مشهور عبد الله الأنوار. (١٩٩٣م)، الشعر السياسي في مصر من ١٩٦٧ م إلى ١٩٨٠م، رسالة لمرحلة الماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم قسم الدراسات الأدبية.
٣٩. قدور، سكينه. (٢٠٠٦ م) *الجسديات في الشعر العربي*، أطروحة دكتوراه دولة في الأدب العربي الحديث، الجزائر، جامعة منتوري - قسنطينة.

ج. المقالات

٤٠. نعمتي قزويني، معصومه. (١٣٨٩ش) نقد اجتماعي شعر معاصر عراق با تكيه بر آثار شاعران برجسته و نوگرا، رساله دوره دكتري زبان و ادبيات عربي، تهران، دانشگاه تربيت مدرس.
٤١. يعقوب، ناصر. (٢٠٠٨ م) «قصيدة القناع: قراءة في قصيدة رحلة المتنبي إلي مصر لمحمود درويش»، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٤، العدد الثالث والرابع.

References

a. Arabic Books

1. Quran.
2. Ali ibn Abi Talib (1414): *Nahjul Balaghah*; investigation and coordination of Sayyid. Sadiq al-Musawi; 1st edition; Beirut: Islamiyah Publication.
3. Abu Nazâl, Nazyeh: (1981); *Prison Literature*; 1st edition; Beirut: Al-hadasah for the Printing, Publishing and Distribution.
4. Adel, Al-osta: (2002); *Mozaffar e navab - voice & echo -*; 1st edition; the Library Madbouly.
5. Ismail, Izz al-Din: (1981); *Contemporary Arabic poetry -Issues of it and technical and spiritual aspects of it-*; 3rd edition; Beirut:Al-awdah Publication and Al-sqafh Publication.
6. Emarah, Ali (2011); *Sediments war in the new Iraqi poetry and other readings*; a series of studies (9); Damascus: publications Union of Arab writers.
7. Emtanius, Michael (1986); *a study in modern Arabic poetry*; 1st edition; Beirut: Al-asryat Library.
8. Al-Hamad, Turki: (1993); *the Arab culture to the challenges of change*; 1st edition; Beirut: Saqi publication.
9. Hammoud, Mohammed al-Abd: (1966); *modernity in contemporary Arab poetry statement and manifestations*; 1st edition; Global Company for a book.
10. Hanachi, Joseph (1984); *rejection and its meaning in the poetry of Mutanabi*; 1st edition; Tunisia: Arab publication of the writers.
11. Kheyr Bak, Kamâl (1986); *the movement of modernity in contemporary Arab poetry*; translation committee of the Friends Author; 2nd edition; Beirut; Lebanon: Al-fekr publication.
12. Al-ravâshedeh, Samih: (1996); *Poetry Abdul Vahab al-Bayati & heritage*; 1st edition; Jordan: Cultural Ministry of Oman.
13. Zayed, Ali ashri: (1997); *call the Past characters in contemporary Arabic poetry*; 1st edition; Cairo: Al-arabi Al-fekr Publication.
14. Stagg, Marina: (1995); *the limits of freedom of expression, Experience, the authors story and the novel in Egypt during the reign of Abdul Nasser and Sadat*; translation Talat Chaib; 1st edition; Cairo: Orientals for publication and distribution.
15. Al-senyd, Hassan (Javad Jamil): (1988); *things deleted control*; 1st edition; Beirut: Al-forat Publication.
16. Seyed, Aladdin Ramadan: (1996); *artistic phenomena in modern Arabic language of poetry (monetary research study)*; 1st edition; Damascus: Press Union of Arab writers.
17. Shukri, Ghali (1979); *Resistance Literature*; 2nd edition; Beirut: Al-afaq Al-jdydah publication.
18. Al-alam, Mahmoud Amin and others (1988); *in issues contemporary Arabic poetry*; 1st edition; Tunisia: Arab Organization for Education, Culture and Science.
19. ghomayhat, mofid Muhammad: (1981); *humanitarian trend in contemporary Arabic poetry*; 1st edition; Beirut: Al-afagh Al-jadidat Publication.
20. Qosi, Mohamed Abd Al-Shafi: (2011); *poets in the face of tyranny*; 1st edition; Cairo: The Library roses Island.
21. Al-karaki, Khaled: (1989); *the Arab heritage symbols in modern Arabic poetry*; 1st edition; Beirut: Generation publications; Oman: Library Al-Ra'ed Al-elmiah.
22. Authors Group: (1983); *writer and His art: studies in literature and criticism*; selection and translation Jabra Ibrahim Jabra; 2nd edition; Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

23. Marvah, Hussein: (1986); *Critical Studies in view of the realistic approach*; 3rd edition; Lebanon: Arab Research Foundation.
24. Al-mosammari, Saleh Samee: (1988); *the crisis political freedom in the Arab world*; 1st edition; Zahra Arab media.
25. Al-moini, Khaled and Qusay Al-Alazmi: (2011); *the Iraqi resistance strategy*; review and scrutiny Saeb qahvaji; 1st edition; Damascus: Center for Military Studies.
26. Moqalled, Muhammad Ali: (1996); *poetry and ideological conflict*; 1st edition; Beirut: Al-adab publication.
27. navab, Muzaffar: (1996); *poetic works full*; 1st edition; London: Qanbar publication.
28. navab, Muzaffar: (2010); *Muzaffar navab poet revolutions and disconcerting*; the collection and preparation of Aus David Yaqub; 1st edition; Damascus: pages for Studies and Publishing publication.
29. Yassin, Baqer: (2003); *Muzaffar navab of his life and his poetry*; 3rd edition; Iran; Qom: Al-Ghadeer publication.

b. Persian Books

30. Abrahamian, Ervand: (2003); *The Confessions of Tortured (prisons and public Repentances expression in modern Iran)*; interpreter Reza Sharifi; 1st edition; Sweden: Baran publication.
31. Al-khalil, Samir: (1370); *Republic of horror, today's Iraq policy*, translated by Ahmad Tadayon; 1st edition; Tehran: Tarh-e-Now publication.

c. University theses

32. Ballavi, Rasoul: (1391); *hiring motif in poetry of Yahia Samavi*; Thesis for PhD degree; Department of Arabic Language and Literature; Mashad: Ferdowsi University.
33. Favaz, Mashour Al-anvar: (1993); *political poetry in Egypt from 1967 to 1980*; master's thesis; Cairo University: Faculty of Science, Department of Literary Studies.
34. Kaddour, Skynh: (2006); *Prisons in Arabic poetry*; PhD thesis in modern Arabic literature; Algeria: University Mentouri - Constantinople.
35. Nemati Qazvin, Masoumeh (1389); *social critique of contemporary poetry Iraq with an emphasis on works of modern poets*; Arabic Language and Literature PhD thesis, Tehran: Tarbiat Modares University.

d. Articles

36. Adam, Qabby: (2002); «Vision theory about political violence»; magazine researcher; No. 01; pp. 102-111.
37. Hanafi, Sari (2014); «Forced Migration in the Arab world: a new old Challenges»; *Journal of the Arab future*; No. 427; pp. 71-87.
38. Sharif Askari, Mohammad Saleh and Morteza Zare Beromi: (2014); «poetry prisons in contemporary Iraqi literature, poetic works of Hassan Sinead, example»; *Journal of Studies in the Humanities*; twentieth year; No. 1; pp.99-120.
39. Jacob, Nasser (2008); «poem mask: read the poem Mutanabi trip to Egypt, Mahmoud Darwish»; *Damascus University Journal*; Volume 24; No. third and fourth; pp.249-304.